نهاية السلطة The end of Power

سبق أن استعرضت كتابا يشابه عنوانه هذا العنوان باسم The End of West أي نهاية الغرب – والأزمات والمتغيرات في النظام الأطلبس – مما قد يقود إلى إنهياره – ولكن الكتاب الحالي ، يتكلم عن إنتهاء عصر البطولة المطلقة وإنتهاء عصر الشخصية وسلطة الافراد ، والقادة العسكريين وأساطين الفن ونجوم الرياضة ورجال الكنائس دائمة الفتوي ، نتيجة لمتغيرات جوهرية في بيئة الحياة الإنسانية صحبتها ثورات عقلية ومركبة وتوجهات وفهم جديد لقيم التدين واستقبال الحياة في إطار ثورة الإتصال والمعلوماتية .

اسم كاتب الكتاب Mouses Naim وهو كاتب معروفة حيث عمل كبير محرريمجلة السياسة الخارجية Foreign Policy

ويعطي الكاتب فكرة عن مضمون كتابه ، بضرب مثال عن ملوك الشطرنج الين دالت دولتهم ، بدخول الآلاف إلى نادي المهارة الفائقة ففي التعاطي مع الشطرنج من خلال متابعتهم للمواقع الأسفيرية ، وكذلك ماي وهناك فرسان مع إنتشار الفروسية ودخول مئات الآلاف من منازلهم لنادي الفروسية بعد أن كانت محتكرة لطبقات بعينها ، بل حتى على مستوي العائلة تقلصت سلطة الىباء على أبنائهم وخيارات الابناء في العمل والزواج والتعاطي مع سبل الحياة المختلفة ، لقد شارك الملايين في المظاهرات التي أطاحت بحكم الرئيس مبارك ، مما أدى إلى نهاية ثلاثية السلطة والمال والصداقة جزئيا في مصر ومع الربيع العربي أصبحت الجماهير وجماعات الضغط قادرة على إنفاق المبادرات السلطوية والسلطة غير قادرة على فرض إدارتها.

بل أحيانات تصبح قوة السوق أكثر أهمية من قوة اللطة في أخص خصائص السلطة، مثل تحديد سعر العملة ، فمثلا الحكومة السودانية كانت تؤكد وباستمرار أن سعر الجنيه السوداني أكبر مما هو عليه في السوق الموازي فإذا بها فجأة تتبني السعر الموازي ثمنا لعملتها ، فإذا كانت السلطة لا تستطيع أن تحدد حتى ثمن عملتها ألا يؤكد ذلك نهاية السلطة ، أمام قوة السوق .

كما أن بروقراطية الدولة أو الإدارة الهرمية من الموظفين، والإداريين أصبحت تمثل قوة موازنة لقوة قيادة الدولة أو قيادة ممثلي الدولة من وزير ووكيل ، وكيف أن البيروقراطية تهزم قرارات السلطة " حالة الاستثمار مثلا ، وأخذت الدولة في إنشاء التنظيمات الموازيةن لبيروقراطية الدولة، علما بأنه لا يوجد تنظيم هرمي متسلسل قادر على العطاء ، والإبداع ولذلك تلجأ دول عالم الثالث إلى جهاز إلامن لتجاوز البيروقراطية ، مما يؤدي إلى الاحتقان وتضارب السلطات ، بالإضافة إلي ذلك ، فإن دخول الشركات الكبرى بأموالها وقدرتها ،

يجبر أحيانا سلطة الدولة لمصالح النظم الكبري ومصالح النخبة ، وفي الغرب يستطيع القضاء أن يرد الأمور إلى نصابها، فقد راينا القضاء الإيطالي يطيح بسلطة سلفو بيرلسكوني رئيس الوزراء وكذلك القضاء الإسرائيلي يضع رئيس الوزراء في السجدن ، وذرك غافيير سولانا الأمين العام لحلف الناتو ووزير خارجية اسبانيا السابق " أنه لا يستطيع فعل الكثير وسط تأثيرات القوة والتداخلات والتوازنات والعوامل الجدية .

ولا أدل على نهاية السلطة المطلقة من سقوط حائط برلين في 9 نوفمبر 1989م ، ثم سقوط الإمبراطورية الشيوعية ، نتيجة للقوة الناعمة للكنيسة والإعلام الغربي ، مما أدي إلى هزيمة الإمبراطورية بجيوشها وأساطيلها واستخباراتها وأجهزتها الأمنية ، وتلى ذلك ولادة الإنترنت والأجهزة الأسفيرية ، مما أدي عملقة قوي غير منظورة ، من أبرز رسلها الثورة التكاثرية ، ممثلة في الأحزاب والمنظمات والهيئات والهجرات وتكدس المدن والمقاهي في إطار الثورة العقلية والأفكار الجديدة التي غزت العقول والافئدة مع ثورة حركية " طائرات ، سفن ، عربات الخ ولتقريب الصورة أضرب مثلا خارج أمثلة الكاتب ، مستمد من الحصاحيصا ، حيث كان في أيامي السفر للخرطوم إما بالقطار أو بالبص السريع الذي يمر بالحصاحيصا مرتين في الأسبوع فقط ، وكانت فيه 8 مقاعد مخصصة لأن بقية المقاعد تأتي ممتلئة من مدني- ولكن الآن حجم الحركة من الخرطوم للحصاحيصا لايصدق بل حتى حجم الحركة من المطار للحصاحيصا أضعاف أضعاف حركة كل الحصاحيصا في الماضي ن وربما لم يك في كل الحصاحيصا حتى عام 2000م من يعرف ماهو الإنترنت ولكن الآن معظم شباب الحصاحيصا يتماهي مع ثورة الإنترنت .

ومن سخريات القدر أن القاعدة خسرت فقط نصف مليون دولار في تجهيزات ضرب برجي التجارة في نيويورك بينما كلف رد الفعل الولايات المتحدة ثلاثة ترليون دولار ، بل إن حروب الولايات المتحدة لكبح جماع القادة فد يؤدي إلى انهيار اقتصادي عالمي ، وهاهو الرئيس ترمب يشير إلى عزمه على وضع يده على بترول العراق وإجبار دول الخليج على دفع خسائر أمريكا وتغطية عجز ميزان مدفوعاتها ، ويشير إلى شراكة الدول الكبري مع دول صغيرة كقطر التي أسهمت مع الناتو وأمريكا في الإطاحة بالقذافي بعشرين الف طن من السلاح بالإضافة إلى دورها في التدريب والمال ومدد تلفزيون الجزيرة التعبوي والدعائي .

ويشير إلى تضاؤل دور الدبلوماسية الرسمية وسط فاعلية وسائل الإتصال والمعلوماتية ودبلوماسية منظمات المجتمع المدني والتواصل المباشر والتواصل الرياضي والثقافي والفني ، كما يشير إلى إنكماش سلطة الكنائس الكبرى كالفتيكان وكنتربري بظهوزر الكنائس الخمسينية ، والكنائس الجديدة وتفشي الإلحاد والهروب الجماعي من التدين النمطي . في

عالم اصبح كل يفرد بطريقته وبدون وينشر على حسابه بدون رقيب – ويذكرني هذا بمجموعة العصيان المدني، التي وطنت شعار العصيان بينما السلطة بجبروتها فشلت في الحفاظ على شعار (نحمي بالإنتاج ونأكل مما نزرع).